

أضواء البيان

. . @ 312 @

وبين إعراض قوم صالح عن تلك الآيات في مواضع كثيرة . كقوله : { فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَاحُ اتِّتِنَا بِمَا تَعِدُّنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } وقوله { فَعَقَرُواهَا وَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ } . وقوله : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا } . وقوله : { فَتَدَاوَوْا صَاحِبَيْهِمْ فَتَتَعَاطَى فَعَقَرَ } . وقوله : { وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا } . وقوله : { قَالَُوا إِنَّ نَسَمًا آتَتْ مِنَ الْإِمْسَاحِ رَيْنِمًا إِنْ أَنْتَ إِلَّا لَآئِي بَشَرٍ مِّثْلُ نَسَمَاتِ الْإِنْسَانِ } . إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { وَكَانُوا يَنْذِرُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح كانوا آمنين في أوطانهم ، وكانوا ينحتون الجبال بيوتاً . . . وأوضح هذا المعنى في مواضع آخر ، كقوله تعالى : { أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَّعُوهَا هَضِيمٌ وَتَنْذِرُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ } وقوله تعالى : { وَإِذْ كُفِرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَافَاءَ مِنْ بَعْدِ ءَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَذَخَّرُونَ مِنْ سُهُولِهَا وَمُؤَرَّاتٍ وَتَنْذِرُونَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَإِذْ كُفِرُوا ءَالَءَ اللَّهِ } . وقوله : { وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ } أي قطعوا الصخر بنحته بيوتاً . قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ } . ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق . أي ليدل بذلك على أنه المستحق لأن يعبد وحده ، وأنه يكلف الخلق ويجازيهم على أعمالهم . . .

فدلت الآية على أنه لم يخلق عبثاً ولا لعباً ولا باطلاً . وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة ، كقوله : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَالِكُمْ } . وقوله : { وَتَنْذِرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } ، وقوله : { رَبَّنَا مَا خَلَقْنَا هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } ، وقوله :

{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَابِينَ مَا
خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ } ، وقوله : { أَفَحَسِبْتُمْ أَن نَّمَا خَلَقْنَاكُمْ
عِبَثًا وَأَن نَّذْكُمُ إِلَّا لِيُنذَنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } ،